

## الفصل العاشر

### المكتبة

كان معهد العلوم (الموسيون) مركز البحوث العلمية . وكانت المكتبة، مركز الدراسات الإنسانية، غير أنها كانت أيضاً قسماً ضرورياً من أقسام معهد العلوم ، ولذا فمن غير المفيد أن نبحث فيما إذا كانت المكتبة ، أو لم تكن جزءاً من الموسيون ، لأنها كأي مكتبة في إحدى جامعاتنا الكبرى ، تفيد كل قسم من أقسام الجامعة، وتلبي في نفس الوقت حاجة الباحثين في خارجها . والشئ المؤكد هو أن الموسيين والمكتبة . كليهما - مع أنه لم تضمهما أرض القصور الملكية - كانتا على الأقل في البروكيون<sup>(١)</sup>، وهو الحى المقدونى - اليونانى فى الإسكندرية ، وأنها خضعا معاً للأوامر الملكية .

كان فى إنشاء بضع قاعات وأروقة ما يكفى لتأسيس الموسيون وتسجيل أسماء الباحثين المقيمين به ، إذ كانت المستازمات الأولى لذلك فى غاية البساطة، غير أن نمو المكتبة كان شيئاً يختلف عن ذلك ، لأن الحاجة الأولى هى جمع المخطوطات ، حتى إذا صار عددها وفيراً ، احتاج الأمر إلى مبنى لضمها ، والاحتفاظ بها فى ترتيب جيد .

وعلى هذا المتوال نشأ كثير من المكتبات الكبرى فى العالم ؛ إذ تجمعت للمكتبة بعض ذخائرها ، وتكونت بعض مجموعاتنا من هذه الذخائر . وذلك قبل أن تتأسس المكتبة وتقوم بوظيفتها العلمية التقليدية .

### المكتبات القديمة

كانت مكتبة الإسكندرية أشهر المكتبات فى العالم القديم ، لكنها لم تكن

المكتبة الوحيدة على أية حال ، كما أنها لم تكن أقدم المكتبات ، لأنه من المؤكد أن مجموعات من أوراق البردى وجدت في مصر ، كما وجدت مجموعات من الألواح المسارية في بلاد ما بين النهرين . غير أن أقدم المكتبات التي اشتملت على هذه المجموعات ضاعت وتبعثرت ، ولو أن بعض ذخائرها وصل إلينا ، وصادف كثير من الحظ رجال الآثار بكشف مكتبة الملك آشور-باني-بال ( وهو من ملوك آشور في عهدها الأخير ٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م. ) بمدينة نينوى ، واسم هذا الملك عند اليونانيين ساردانابالوس<sup>(٢)</sup> . ونستطيع أن نقول بأن مكتبات خاصة وعامة<sup>(٣)</sup> كانت في العالم المتكلم باللغة اليونانية . فكان لأرسطو مكتبة كبيرة ، وإذا نحن اعتمدنا على ما ذكره سترابون ، كان أرسطو نفسه هو الذى وضع أساس ترتيب المكتبة الملكية في الإسكندرية<sup>(٤)</sup> . وتأسست مكتبات عامة أخرى في أثينا ، ثم في أنطيوخيا ( أنطاكية ) وبرجامة ، وجزيرة رودس وإزمير وكوس وغيرها . لكن مكتبة الإسكندرية كانت دون شك أكبر المكتبات ، وفاقت شهرتها عليها جميعاً ، وبالرغم من ضياعها عن آخرها ، فإننا نعلم عنها أكثر مما نعلم عن أية مكتبة أخرى .

كانت مكتبة الإسكندرية أفخم مكتبات العالم اليوناني في الأزمنة القديمة ، غير أنه مما يدعو إلى العجب أن اسمها لم يصل إلينا ، ولم يظهر في اللغات الأوربية كما ظهرت كلمة موسيون . فإن الاسم الفنى للفظ « مكتبة » في اللغة اليونانية ، وهو لفظ تحتوى عليه لغات كثيرة ، كان يعنى أولاً خزانة كتب ، وكان يعنى أيضاً مجموعة من الكتب في المفهوم المكتبي ، كما نقول نحن مكتبة الأطفال إشارة إلى مجموعة فرعية خاصة بالأطفال في مكتبة من المكتبات الحديثة ، ولكن استخدام هذا اللفظ بمعنى مكتبة جاء متأخراً ، ولم يكن في أول الأمر شائعاً ، وكان المؤرخ بوليبيوس أول من استخدم كلمة مكتبة في هذا المعنى<sup>(٥)</sup> .

أى إن خصائص المكتبة هي وجود مجموعات من الكتب ، ومعنى يضم هذه المجموعات ، وفتة من الموظفين لحفظ هذه المجموعات وترتيبها والإشراف على استخدامها ، وهذه الفتة من الموظفين تكون في أول الأمر فرداً واحداً ، حتى

إذا نمت المكتبة من حيث محتوياتها وأهميتها صارت في حاجة إلى عدد من أولئك الموظفين فضلا عن مدير أو أمين للمكتبة، وهذا يؤدي بنا إلى سؤال لا يزال في حاجة إلى جواب ، وهو : من أول أمين مكتبة في التاريخ ؟ .

أمناء مكتبة الإسكندرية : جمع ديمتريوس الفاليري اليوناني نواة مكتبة الإسكندرية وهو في بلاد اليونان ، ويمكن أن يطلق عليه مؤسس فكرة المكتبة، ولو أن هذا الشرف أو أكثر منه ينبغي عدلا أن ينسب إلى الملكين الأول والثاني من البطالمة، إذ كان بطلميوس الأول ( سوتر ) هو الذي أمر بتأسيس المكتبة وتنظيمها على نفقته ، ثم أكمل ذلك خلفه بطلميوس الثاني ( فيلادلفوس ) - ومن ثم ينبغي أن نقول إن مكتبة الإسكندرية أسسها سوتر وفيلادلفوس وديمتريوس . فهل كان ديمتريوس أول أمين للمكتبة - إذا كان من المستطاع أن نقول ذلك ؟ يكون من الأصوب أن نطلق على زينودوتوس الأفيسي (of Ephesos) لقب الأمين الأول<sup>(٦)</sup> .

وفيما يلي قائمة بأسماء الأمناء كما جاء في الدراسة المفصلة لمكتبة الإسكندرية: (٧) .

الأمناء	تواريخ تقريبية
١ - ديمتريوس الفاليري	حوالي ٢٨٤ ق. م .
٢ - زينودوتوس الأفيسي	٢٨٤ - ٢٦٠
٣ - كاليماخوس البرقاوي	٢٦٠ - ٢٤٠
٤ - أبولونيوس الرودسي	٢٤٠ - ٢٣٥
٥ - إراتوستينيس البرقاوي	٢٣٥ - ١٩٥
٦ - أريستوفانيس البيزنطي (نسبة إلى قرية بيزنطة القديمة)	١٩٥ - ١٨٠
٧ - أبولونيوس إيدوجرافوس	١٨٠ - ١٦٠
٨ - أريستارخوس الساموثراقي	١٦٠ - ١٤٥

وسوف تظهر أسماء أولئك الرجال مرة أخرى فيما يلي هنا ، ما عدا أبولونيوس إيدوجرافوس وهو من علماء النحو، وتاريخ حياته غير معروف على وجه التحقيق، لكن من المعروف أنه اشتغل بالمكتبة في ترتيب قصائد الشاعر اليوناني بندار<sup>(٨)</sup> .

وهذه القائمة ليست مؤكدة تمام التأكيد من عدة وجوه، والأسماء التي يحتمل أن يتفق جميع العلماء على صحتها هي زينودوتوس، وأبولونيوس الرودسي وأبولونيوس آخر : وإراتوستينيس ، وأريستوفانيس . وأريستارخوس، ثم إن هذه القائمة تثير ملحوظتين واضحتين ، وهما : أولاً أن الإسكندرية البطلمية كانت مدينة عالمية تجمع جاليات بشرية مختلفة، وثانياً : أن هذه القائمة تنتهى بانتهاء النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. يضاف إلى ذلك أنه لا توجد أية إشارة في أى مصدر من المصادر إلى أمين مكتبة الإسكندرية بعد هذا التاريخ ، وسوف نعود إلى هذه الحقيقة الشوم فيما يلي ، ثم إنه إذا نحن اعتمدنا على ما لدينا من أسماء الأمان الواردة هنا، فن الواضح أن العصر الذهبي لمكتبة الإسكندرية لم يظل سوى قرن ونصف قرن من الزمان ، لأنه ليس من المعقول أن تزدهر مكتبة ما دون أن يكون لها أمناء معروفون .

**نمو المكتبة :** يرجع الفضل إلى إقدام الملوك الذين رعوا المكتبة وإلى كفاية خبرائهم الأولين، وهما ديمتريوس وزينودوتوس، أن نمت المكتبة بسرعة مذهمة، وفي منتصف القرن الثالث صار المبنى الأصلي ضيقاً، فصار من الضروري أن ينشأ ملحق للمكتبة ، وكان ذلك في السارابيون ، وهو السارابيوم في اللغة اللاتينية<sup>(٩)</sup> .

وأعطت المكتبة الأم مكتبة السارابيوم حوالى ٨٠٠ ر ٤٢ لفافة بردية عن طريق الهدية أو الإعارة ، وربما كانت هذه العملية وسيلة لإفساح مكان في المكتبة الأم ، والتخلص في الوقت نفسه من النسخ غير الكاملة أو المكررة .

وشغف ملوك مصر بتزويد مكتبتهم وتنميتها . واستخدموا من أجل ذلك طرقاً استبدادية — ومن ذلك أن بطلميوس الثالث يورجيتوس (٢٤٧ — ٢٢٢ ق.م.) أهر بأن يقوم جميع المسافرين الذين يصلون إلى الإسكندرية من الخارج بتسليم ما عسى أن يوجد بين متاعهم من كتب، فإذا كانت هذه الكتب لا تحتويها المكتبة ، أخذت من أصحابها وأعطوا بدلا منها نسخاً مكتوبة على

البردى الرخيص . وطلب بطلميوس هذا من أمين مكتبة أثينا أن يعيره البرديات الرسمية<sup>(١٠)</sup> من مؤلفات أيسخيلوس وسوفوكليس ويوربيديس ، لكي تقوم المكتبة بعمل نسخة منها لنفسها ودفع مبلغ ١٥ تالنت ضماناً لإعادتها ، لكنه قرر الاحتفاظ بهذه المؤلفات ، إذ أدرك أنها تستحق أكثر من المال الذى دفعه ، ثم أعاد لمكتبة أثينا نسخاً منها .

وكانت المكتبة بمثابة العقل لأقسام الموسيون ؛ إذ احتاج الأطباء إلى مؤلفات أبقراط ومن جاءوا بعده ، كما احتاج الفلكيون إلى سجلات الأرصاد والنظريات الفلكية الأولى ، وهنا نريد أن نعرف أكانت سجلات الأرصاد الفلكية البابلية والمصرية موجودة بالمكتبة أم لم تكن موجودة هناك ؟ . وكمن من أوراق البردى القديمة المتعلقة بعلمى الفلك والتنجيم كانت تحتوى عليها المكتبة ؛ إذ كان لزاماً على العلميين من رجال الموسيون أن يعرفوا ما وصلت إليه العلوم عند من قبلهم ، غير أن ذلك كله لا يعنى أن هذه السجلات الفلكية والبرديات الأولى كانت توجد فى المكتبة .

ويلاحظ أن المؤلفات العلمية الأولى لم تكن كثيرة ، وكان من السهل على رجال العلم - أن يكون لدى الواحد منهم مجموعة منها ، سواء فى دورهم أو فى مخبراتهم . وما لا ريب فيه أن أمناء مكتبة الإسكندرية لقوا من أنواع المتاعب المكتبية مثلما يلقي الأمناء فى المكتبات الجامعية الحديثة ، إذ كيف يمكن التوفيق بين ما يطلبه عامة القراء والمتخصصون ، بتوزيع الكتب بين المكتبة الأم ومكتبات الأقسام المختلفة .

ثم إنه إذا انتقلنا من دائرة العلوم إلى دائرة الدراسات الإنسانية ، رأينا أهمية المكتبة تزداد بصورة هائلة ، لأن المكتبة تقوم فى مجال الدراسات الإنسانية : لا بتقديم المعلومات العامة فحسب ، بل تحتوى على أمهات المؤلفات الإنسانية الكبرى ، وفى استطاعة المشتغل بالتشريح أن يجد فى المكتبة كتباً ، ولكنه لن يجد أجساماً لتشريحها ، كما فى استطاعة الفلكى أن يجد كتباً فى الفلك ، ولكنه لن يجد النجوم وعظمة السماوات ، غير أنه إذا أراد الأديب أن يقرأ

الإلياذة أو الأوديسا ، أو أغاني أناكريون ، أو أشعار سيمونيديس فسوف يجد تلك الذخائر بين أيديه في المكتبة وحدها ، وربما لم يكن باستطاعته أن يعثر عليها في مكان آخر . وعلى هذا يمكن أن تسمى المكتبة باسم عقل الموسيون ، كما يمكن أن نطلق عليها أيضاً اسم قلب الدراسات الإنسانية .

وكانت مكتبة الإسكندرية بداية جديدة ، كما كان الموسيون حقاً ، غير أن مؤلفات كثيرة تم تأليفها من قبل في الدراسات الإنسانية والدراسات العلمية كذلك ، ونحن نعلم علم اليقين من مقدار ما تبنى به مرادف كلمة « مكتبة » في اليونانية ، أن أعداداً من الكتب كانت تنشر وتباع وتجمع وتنقل على الأقل منذ القرن الخامس فصاعداً . وفي تلك الأزمنة كانت مكبات عديدة ، كبيرة وصغيرة ، خاصة وعمامة ، ولكن الحديد في القرن الثالث هو أن ظهرت فئات من العلماء والباحثين الذي كان عملهم الخدمة في المكتبة .

وكانت هذه الخدمة المكتبية أكثر تعقيداً وصعوبة لدى الأمناء في المكتبة الحديثة ؛ لأن حفظ الكتب المطبوعة في ترتيب جيد ، أمر سهل لأن كلاً من هذه الكتب وحدة مطبعية تسهل معرفتها ، على حين واجه الأمناء الإسكندريون مشكلة عدد ضخمة من لفائف البردى ، ينبغي أولاً معرفة كل منها ، ثم تصنيفها وفهرستها وتحقيق متونها . وكان هذا التحقيق مفتاح الصعوبات المكتبية الرئيسية ، لأن غالبية المتون التي اشتملت عليها اللفائف لم تكن على نسق واحد ، وكان تعرفها أمراً يكاد يكون مستحيلاً ، ما لم تحقق المتون تحقيقاً دقيقاً ، وما لم تنفح لتعلم للنشر ، وترتب في صورة أو صيغة منطقية .

بعبارة أخرى لم يكن أمناء مكتبة الإسكندرية قوامين أو مفهرسين كما هي الحال بين أمناء المكتبات في العصر الحاضر ، بل كان عليهم أن يكونوا علماء متمكنين في فقه اللغة ، والواقع أن مكتبة الإسكندرية كانت مهد علماء فقه اللغة والإنسانيين ، كما كان الموسيون مهد علماء التشريح والفلكيين ، وهذا ما سنوضحه ببعض التفصيل عندما نصف أنواع النشاط الذي قام به أفراد الباحثين .

وإذا ضاعت المكتبة وفهرسها المعقد ، فليس لدينا فكرة عن محتوياتها :  
 ما عدا أنها كانت مكتبة غنية جداً ، وأنها اشتملت على كثير من المؤلفات التي  
 لم يعد لها وجود . غير أن الآلاف الكثيرة من أوراق البردى التي اكتشفت في  
 مصر ، والتي تناولتها بحوث الباحثين في هذا القرن الحالى ، دلت على أن سكان  
 مصر من اليونانيين والشرقيين المتكلمين باليونانية ، كانوا على علم بالأدب اليونانى  
 ومؤلفيه . ويبدو أن هومر كان أكثرهم شهرة ، بدليل أن البرديات الهومرية التي  
 بأيدينا في العصر الحاضر أكثر وفرة من جميع البرديات الأخرى مجتمعة ،  
 ويتبعها في الترتيب بحسب عددها برديات ديموسثينيس ، ويوريبيديس  
 وميناندرس<sup>(١١)</sup> وأفلاطون ، وثوكيديدس وهسيودوس وأيسوكراتيس ، وأريستوفانيس  
 وكسينوفون وسوفوكليس ، بندار وسايفو . وهناك قطع قليلة جداً من مؤلفات  
 أرسطو ، غير أننا تعوضنا عن هذه القلة بكشف نسخة كاملة من « دستور  
 أثينا » ، في بردية محفوظة بالمتحف البريطانى . ومن الغريب أيضاً ، أن هيرودوت  
 الذى ينتظر أن تكون له أهمية خاصة عند سكان مصر من اليونانيين لا يكاد  
 يكون له أثر في مكتبة الإسكندرية ، غير أن برديات المكتبة أمدتنا لا بقطع  
 كثيرة من المؤلفات المشهورة ، بل كشفت لنا عن مؤلفات مفقودة ، مثل دستور  
 أثينا الذى تقدمت الإشارة إليه ، والبردية الطبية الموجودة بلندن ، ولا شك أن  
 هذه القطع أضافت إلى معلوماتنا إضافات كثيرة من مؤلفين آخرين ، أمثال :  
 ميناندرس وباكيليديس وهيبيريديس ، وهيروداس ، وتيموثيوس ،<sup>(١٢)</sup> وأيفوروس .  
 ولذا نستطيع أن نقول في شيء من التحفظ إن سكان مصر من اليونانيين كانوا  
 أكثر ثقافة من معاصرنا من الأمريكيين<sup>(١٣)</sup> .

**لقائف البردى :** تقدم البحث في اكتشاف المصريين للبردى في الألف  
 الثالثة ( ق . م . ) في المجلد الأول من هذا الكتاب<sup>(١٤)</sup> ويبدو أن أصول صناعة  
 البردى ظلت على ما هي عليه في الأزمنة اليونانية والأزمنة التالية ، ولكن كانت  
 هناك اختلافات واضحة بين البردى المصرى واليونانى ، وكانت اللقائف المصرية  
 تصنع من أوراق أكثر سعة وطولا ، وربما تزيد في بعض الأحيان على مائة

قدم ، وأقصاها ١٣٣ قديمًا . أما اللفائف اليونانية فكانت أصغر حجمًا وطولاً ( أقل من ٥٠ قديمًا ) ، ولكنها كانت كثيرة العدد .

وكانت أوراق البردى مادة مرتفعة الثمن منذ الأزمنة المصرية الأولى ، والدليل على ذلك استخدام الشقاف الخرفية للكتابة ، غير أنه لم يكن من المعتاد أن يكتب أحد مسألة هامة على قطعة من هذه الشقاف ما دام في استطاعته أن يحصل على ورقة من البردى ، وفي المتحف الأشمولي بأكسفورد شقاف تحتوي على تسعة أعشار « قصة سنوحى » ، وهى إحدى مآثورات الأدب المصرى القديم ، وكانت كتابة هذه القصة حوالى نهاية القرن العشرين ( ق. م . ) ، وترجع هذه الشقاف إلى عصر الروماسة ( حوالى ما بين القرنين ١٣ ، ١٢ ق. م . ) ، وربما تكون أكبر الشقاف المكتوبة الموجودة لدينا ، ولكن هناك عدداً وثيراً من الشقاف الصغيرة<sup>(١٥)</sup> .

وبما يدل على غلاء ثمن أوراق البردى ما كان معتاداً من استخدام المواضع الخالية من الكتابة ، مثل ظهور اللفائف البردية ، لأغراض أخرى لا تتصل إطلاقاً بما سبقت كتابته على وجوهها ، فضلاً عما جرت عليه العادة من إزالة نص مكتوب لإيجاد موضع لنص آخر ، وأمثال هذه البرديات تسمى البالمبيست .

ونستطيع أن نؤكد أن أثمان أوراق البردى ظلت باهظة الثمن فى الأزمنة الهلينستية ، لأن صناعتها احتاجت إلى مهارة فائقة وصبر طويل . وكانت هذه الصناعة احتكاراً حكومياً ، التزم به بعض المتعهدين مقابل تأدية مبلغ من المال . أما استخدام الرقوق للكتابة فابتدأ فيما بعد « ( ليس قبل نهاية القرن الثالث ق. م . ) وذلك فى آسيا الصغرى ، ولما كانت « الرقوق » أغلى ثمناً من أوراق البردى فإنها لم تحل محلها لأغراض الكتابة ، لكنها حلت محلها فعلاً حين تعذر الحصول على أوراق البردى ، وهو ما حدث فى آسيا عند ما حرم تصديره بطلميوس أيفانوس ( ٢٠٥ - ١٨٢ ق. م . )<sup>(١٦)</sup> .

وكانت الوحدة البردية عند المصريين واليونانيين هي الورقة ، وكانت العادة أن تلتصق عدة أوراق بعضها ببعض على طول أحد جانبيها ، وهو الجانب الأطول في غالب الأحيان ، وهذه هي اللفافة البردية ، وكانت هذه الأوراق المتلاصقة تعرف في اليونانية بكلمة كوليمما Collema ، ويمكن ترجمتها بأنها الشيء الذي يلصق به شيء آخر من نفس النوع . وكان متوسط طول اللفافة البردية حوالي ١٠ بوصات ، و بما تزيد أو تقل قليلا ، على حين قلما زاد طول اللفافة على ٣٥ قدماً . وكانت أوراق البردي تباع في لفافات ، وكانت الكتابة تجري على اللفافة ( لاحظ أن الأوراق كانت تلتصق قبل الكتابة وليس بعدها ) .

وكانت أوراق البردي تصنع من لباب نبات البردي ، يقطع هذا اللباب إلى شرائح رقيقة ، ويوضع عدد منها جنباً إلى جنب ، ثم توضع طبقة ثانية منها متعامدة فوق الطبقة الأولى ، ولما كان اللباب لزجاً ، فإن الطبقتين كانتا تلتصقان بالضغط عليهما . وفي صنع اللفافة البردية تكون الشرائح الأفقية على جانب واحد - وهو وجه الورقة - على حين تكون الشرائح العمودية في الجانب الآخر ، وهو ظهر الورقة .

وكان وجه الورقة هو الأحسن والمخصص للكتابة . وفي أجدود أنواع أوراق البردي كان ظهر الورقة لا يستخدم للكتابة ، وربما كان يستخدم فيما بعد من أجل الاقتصاد . ويلاحظ أن جميع الشرائح كانت أفقية على الوجه فيما عدا الورقة الأخيرة . وهي التي تكون خارج اللفافة بعد لفها ، ولذا تنعكس عملية ترتيب الشرائح في هذه الورقة الأخيرة ، فتكون الشرائح عمودية ، وذلك للتقوية ، وفي الأزمنة المتأخرة - أي في الأزمنة الرومانية والبيزنطية ، كانت هذه الورقة الأخيرة تحمل العلامات المختلفة المتصلة بالحكم ، وكانت هذه الورقة في اللفافة هي الأولى ، ومن أجل هذا كانت تسمى باليونانية : « كوليمما » أو بروتوكولون ( ومنها اشتقت كلمة بروتوكول ) .

وربما يدهش القارئ كيف أتاحت لنا معرفة ذلك كله ، وخاصة إذا كان هذا القارئ غير عارف بالاكتشافات الجديدة ، والواقع أن معرفتنا بالبردى ( اليونانى ) حديثة نسبياً ، ومع أن بعض البرديات اكتشفت منذ ١٧٧٨ ، فإنها لم تجتذب اهتماماً كبيراً حتى نهاية القرن الماضى . وهكذا ولد نظام علمى جديد ( ١٨٩٥ - ٩٦ ) ، أو فرع مساعد لفقهِ اللغة ، وأطلق عليه «علم البردى» وكان ذلك فى السنة التى اكتشفت فيها أشعة رونتجن ، أى أن علم البردى وعلم أشعة الراديروم ظهرا فى سنة واحدة ، وهذه مصادفة تسرعى النظر ، وكما كانت الأشعة السينية بداية الفيزيقا الجديدة ، كان علم البردى بداية تاريخ جديد لمصر والعالم الكلاسيكى ، إذ ساعد البردى فئة من الباحثين للتعمق فى دراسة الماضى ، كما ساعدت الأشعة السينية باحثين آخرين فى اختراق غور المظاهر السطحية<sup>(١٧)</sup> .

وفى أقل من نصف قرن من الزمان استطاع الباحثون من دول مختلفة أن يعثروا على عدد كبير من لفائف البردى ، ومعظمها قطع منفصلة ، وهذه اللفائف ترجع إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وتستمر إلى منتصف القرن الثامن الميلادى ومعظم هذه اللفائف مكتوب باليونانية ، وبعضها باللاتينية ، أو القبطية ، أو العربية . ( كانت بلدة أوكسيرنخوس<sup>(١٨)</sup> ) - وهى البلدة المصرية الواقعة على حافة الصحراء الليبية - أغنى المواقع التى عثر فيها الباحثون على كثير من أوراق البردى . والواقع أن هذه البلدة ، كانت مصدراً لعدد من الوثائق البردية ، التى زودت معرفتنا بإيضاحات كثيرة ، عن الأزمنة الكلاسيكية والعصور الوسطى الأولى .

وهنا يواجهنا هذا السؤال : كيف كانت اللفائف البردية ترتب على رفوف المكتبة فى العصور القديمة ؟ أو كيف كان الأبناء القدماء يقومون بما يقابل ترتيب الكتب على الرفوف فى المكتبات الحديثة ؟ . من المستحيل أن نقول شيئاً فى هذا الصدد ، ما عدا أنه من الواضح أن اللفائف البردية لا يمكن وضعها عمودياً على الرفوف ، كما توضع الكتب ، لكنها يمكن أن توضع أفقية . وعند ما حلت

المجلدات الرقمية أخيراً محل اللقائف البردية على الرفوف فمن المحتمل أن المجلدات الرقمية كانت توضع كذلك أفقية كما كانت الحال في بعض البلاد الشرقية قديماً بشأن الكتب العربية والفارسية والصينية<sup>(١٩)</sup>، غير أن المجلدات الرقمية لم تظهر إلا بعد ذلك بزمن طويل ، ولم تنتشر حتى القرن الخامس الميلادي ، أى إن السنوات الألف التي استخدمت فيها أوراق البردى أعقبها ، على قول كنيسون ، ألف سنة أخرى استخدمت فيها المجلدات الرقمية بدورها ، وذلك حتى حل الكتاب المطبوع بدوره محل المجلدات الرقمية ، وهذا مع العلم بأن الكتاب المطبوع لم يبلغ من العمر حتى الآن سوى نصف ما بلغه كل من أسلافه من اللقائف البردية والمجلدات الرقمية<sup>(٢٠)</sup> .

غير أنه لا ينبغي أن نسابق التطور في ترتيب اللقائف البردية في المكتبة القديمة، إذ السؤال الأول هو : كيف كانت هذه اللقائف ترتب على الرفوف؟ الجواب على ذلك هو : أنه لما كانت اللقائف مصنفة حسب موضوعاتها كان من الضروري جمعها في حزم منفصلة بعضها عن بعض ، وكان من المستطاع القيام بذلك حين توضع اللقائف أفقية على الرفوف بحيث لا تستطيع اللقائف المتشابهة أن ينزلق بعضها عن بعض ، ومن المستطاع اجتناب ذلك الانزلاق بوضع فواصل عمودية كافية وتقسيم الرفوف إلى أقسام وعيون بقدر ما هو مطلوب .

ومن المحتمل أن اللقائف البردية النفيسة ، كانت موضع عناية خاصة ، كما يفعل اليابانيون في صور الكاكيومونو والماكيومونو<sup>(٢١)</sup> ، وذلك بثقوبة أطراف اللقائف البردية، وربما كان ذلك بواسطة قطعة من رقيق الخشب تبرز من جانب البردية وتجعل طيها وفتحها سهلاً . وكان من المحتمل كذلك أن يلصق باللقافة البردية ورقة تحمل العنوان وتكون أكبر حجماً من اللقافة نفسها، واسم هذه الورقة سيللبوس (Sillybos). وفي الأزمنة الرومانية جرت العادة بوضع عدد من لقائف البردى في علبة من العلب المحققة لذلك الغرض واسمها في اللغة اللاتينية

كابسا (Capsa) ، وربما كانت هذه العلب تحمل عنواناً مستقلاً دالاً على محتوياتها ، وكانت هذه العلب ، كما كانت عيون الرفوف المكتبية ، حلولا متشابهة لمشكلة واحدة ، ونستطيع أن نؤكد أن هذه الحلول أو تلك كانت مستخدمة في كل المكتبات الكبرى .

غير أننا لم نتناول حتى هنا موضوع الكتابة على اللقائف البردية . والمعروف أن ذلك كان يجري في صفحات اللقافة التامة الصنع ، مع قطع أى جزء زائد منها بسهولة . وكان الكاتب يكتب في أعمدة اسمها سيليس<sup>(٢٢)</sup> (Selis) في اللغة اليونانية ، وكان اتساع العمود الواحد يختلف باختلاف الأبيات في القصائد الشعرية .

أما في النثر فكان اتساع العمود حوالى ٢١ - ٣ بوصات ، يفصلها بعضها عن بعض نصف بوصة أو أكثر . وكان العمود الواحد يتراوح بين ٢٥ إلى ٤٥ سطراً ، وفي السطر الواحد من ١٨ - ٢٥ حرفاً . ولم تكن الكلمات مفصولة بعضها عن بعض ، كما أنه لم يكن هناك أصل للترقيم ، ما عدا وضع نقطة أو شرطة للدلالة على وقف ، وتسمى الشرطة باراجرافوس (Paragraphos) في اللغة اليونانية . وكان يستدل على خاتمة الكلام في البردى بتزيق زخرفى كإكليل من الزهر (Coronis) . أما إذا كان هناك عنوان ، فكان يوضع في آخر اللقافة لأن هذا الجزء من اللقافة هو الذى تسهل قراءته أول ما تفك اللقافة .

ولما كان أمناء المكتبات يحرصون دائماً على ازدياد مجموعاتهم من الكتب ، فإنهم كانوا يعملون على الحصول على نسخ من اللقائف البردية المعروفة ، إذا لم يكن في الإمكان الحصول عليها . ولذلك كانت بعض قاعات المكتبات في العصور القديمة ، تبدو كأنها قاعات النسخ في العصور الوسطى . ومن المحتمل أن كان ناسخون مخصصون يعملون في الإشراف على النساخين العاديين وتصحيح ما ينسخون . غير أنه ليس يبدو أنه كانت هناك طريقة أو منهج خاص للنسخ ،

كما حدث فيما بعد بقاعات النسخ في العصور الوسطى في مناسخ توروكورني وسانت البانز أوبيورى سانت إدموندز، حيث نشأت طرق ومناهج يستطيع بها الباليوجرافى المدرب معرفة، لا تاريخ، مخطوطة فحسب، بل كذلك مكان كتابتها. ومن الممكن أن نميز بين الفائف البطلمية والفاائف التى كتبت بعدها، غير أن ذلك يقف عند حد التمييز العام بسبب عدم وجود أسس باليوجرافية لتلك الأزمنة.

وكان النساخون الهلنستيون على وجه العموم أمناء فى النقل، وكان أكبر أسباب الخطأ بينهم هى نفس أسباب الخطأ بين الكاتين على الآلة الكتابة الحديثة، أى نسيان سطر أو أكثر من الارتباك أثناء الكتابة لأن العين تخلط عادة بين لفظين متشابهين فى بداية سطرين متتاليين، أو فى آخرهما، غير أن أمانة النقل التى اشتهر بها النساخون فى العصر الهلنستى لم تكن شيئاً بالقياس إلى أمانة النساخين فى العصور القديمة، لأن عملهم كان ذا صفة دينية.

**حجم المكتبة :** كانت مكتبة الإسكندرية ضخمة جداً، بيد أنه من المستحيل أن نعرف عدد الفائف التى احتوت عليها.، وأن الأعداد التى ذكرها المؤلفون الكثيرون تختلف اختلافاً كبيراً من مؤلف إلى آخر. ولما كانت المكتبة فى نمو مستمر فإن أعداد لفائفها ازدادت، وكان بها ٢٠٠,٠٠٠ لفافة أواخر أيام حكم سوتر، نقلاً عن تقدير معين، ١٠٠,٠٠٠ لفافة أواخر أيام حكم ابنه نقلاً عن تقرير آخر، ويذكر آخرون أن هذا العدد بلغ ٥٠٠,٠٠٠ لفافة أو ٧٠٠,٠٠٠ وذلك فى أيام بوليوس قيصر. دعنا من هذه الأرقام المتضاربة فإن الأعداد المنسوبة، إلى التواريخ المتقدمة تستطيع أن تحمل معانى مختلفة؛ لأنها ربما تشير إلى عدد المؤلفات أو عدد الفائف، إذا كانت هناك أحياناً عدة مؤلفات مكتوبة فى لفافة بردية واحدة، أو عدة لفافات بردية مشتملة على مؤلف واحد. والواقع أن الإجابة عن السؤال البسيط التالى فى شىء من الدقة والوضوح ليست سهلة حتى فى العصر الحاضر، وهذا السؤال هو: «كم عدد مكتبتك؟». وكيفما كان الأمر فإن عدد الكتب فى مكتبة من المكاتب لا يعنى شيئاً كثيراً.

فربما كانت الكتب قيمة ، وربما كانت تافهة عديمة الجدوى . وربما كان بعضها فى حال جيدة . وبعضها الآخر فى حال سيئة ، وربما كان بعضها ناقصاً ، وبعضها الآخر منسوخاً فى نسخ قليلة أو كثيرة، أى إن الغنى والعظمة الحقيقية لأية مكتبة لا يتوقف على عدد كتبها بل على قيمة هذه الكتب .

ومن المؤسف حقاً أننا لا نستطيع أن نصور مكتبة الإسكندرية لأنفسنا تصويراً دقيقاً، وأقضى ما نستطيع القول هنا هو أنها كانت ولا ريب منى رائعتاً ذا مقامات أنيقة وأعمدة . وكم نتمنى أن نشاهد أكوام البردى ، المقاعد أو المكاتب المخصصة للقراء ؟ . والمكان الذى كان يسمح فيه لهم بالقراءة والدراسة . من المحتمل أن كانت القاعات مزينة بالمنايل والنقوش الغائرة ، أو الرسوم الجدارية . غير أن الجدران وأناقيتها ليست أهم السمات فى معهد من معاهد العلم ، بل أهم هذه السمات هم الرجال الذين تأويهم هذه الجدران . والمكتبة العظيمة لا تباهى بما تحتوى عليه من الكتب . بل تفخر بمن يقصدونها من العلماء الممتازين الذين يدرسون ويبحثون فيها ، وبدون أولئك لا تكون للمكتبة أية قيمة .

ولنتكلم أولاً عن العلماء القلائل الذين وردت أسماءهم على أنهم مديرو مكتبة الإسكندرية أو المحققون العديون المكلفون بتنظيم محتوياتها .

### زينودوتوس الأفيسى

يظهر أن بعض العلماء الذين كانوا يشغلون وظيفة أمين مكتبة الإسكندرية جمعوا بين تأدية واجبات المكتبة والقيام بوظيفة مؤدبين للأمرء الملكيين . وليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة ، لأن كل شىء فى مصر البطلمية كان يدور حول الملك ، لأنه لم يكن ملكاً بفضل العناية الإلهية . بل كان إلهياً بذاته . ولذا كان ستراتون مؤدياً لفيلادلفوس ، وحينما دعى ستراتون إلى أثينا ليرأس اللقيوم حوالى ٢٨٨ ، حل محله فى هذه الوظيفة الشاعر فيليتاس الكوسى . وكان زينودوتوس الأفيسى أول أمين للمكتبة<sup>(٢٣)</sup> (النصف الأول من القرن ٣ ق . م .) وأصله

تلميذ لفيليتاس . ولو كانت نواحي نشاطه العلمي كثيرة ، فإنه كرس لها جميع ما تبقى له من وقته الذى توافر له بعد تأدية أعماله فى إدارة المكتبة . ومن المحتمل مع هذا أن تلك الإدارة المكتبية كانت لا تزال بسيطة ، لأن هذا العصر ، كان عصر البساطة الإدارية ، بل كان عصرًا ذهبيًا حقًا . فتوزعت جميع الأعمال المكتبية بين الأمانة بروح ودية ، دون خضوع للأساليب الروتينية ، وقام الأمانة بتأديتها بكل إخلاص وفى غير رسميات . وكانت الأعمال المكتبية كثيرة متشعبة ، لأن الأمر لم يقف عند ترتيب الفائف ، إذ احتاجت كل لفافة منها إلى فحص خاص ، وليس هذا فحسب ، بل إن النصوص ذاتها كانت فى حاجة إلى تحقيقها وإعدادها .

وكان زينودوتوس يناقش هذه الأمور مع مساعديه : وهم إسكندر البلوروفى ( من إيتوليا ) وليكوفرون الخالكيسى ( من يوبويا ) وهما يونانيان مولودان فى بلاد اليونان . واقتسم هذان المساعدان بينهما عملاً عظيمًا ، وهو جمع مؤلفات الشعراء اليونانيين ومراجعتها ، وأخذ زينودوتوس لنفسه نصيب الأسد من هذه المؤلفات ، أى هومر وغيره من الشعراء . فأنتج المراجعة الأولى<sup>(٢٤)</sup> للإلياذة والأوديسا . وأشار إلى بعض الأبيات المضافة ( الكاذبة ) لكنه لم يرفضها ، ثم أدخل عليها قراءات جديدة ووضع زينودوتوس معجمًا لأهم الكلمات الهومرية ، ومعجمًا للكلمات الأجنبية ويحتمل أنه كان مسئولًا عن تقسيم كل ملحمة من ملاحم هومر إلى ٢٤ فصلاً<sup>(٢٥)</sup> احتاجت دراسته للمتن إلى كثير من التحليل النحوى ، وأدى ذلك إلى تحسينات نحوية كثيرة . كما أنه أنتج عدة نسخ منقحة من ملحمة هزيبود التى عنوانها تيوجونيا — أى الكون ، كما أنه صحح بعض قصائد بندار وأناكرين .

وتنبأ القطع الهومرية التى وصلت إلينا سالمة فى لفائف البردى عن اختلافات متنية كثيرة ، وذلك لأن بعض رواها من الدجالين والمفسدين كانت تعوهم إضافة أبيات من عندهم على نصوصها ، كما يحتمل أن يفعل الموسيقى الفنان

حين يضيف من عنده نغمة أو صوتاً وهو يؤدي قطعة موسيقية كلاسيكية .  
وسنحت الفرصة للعالم زينو دوتوس أن يقارن بين نصوص كثير من اللقائف  
الموسمية ، وكان عمله الأكبر هو التوفيق بين هذه النصوص .

أما إسكندر البلوروني فإنه قام بتصنيف الدرامات التراجيدية والهجائية ،  
ومن أجل ذلك سماه سويداس (النصف الثاني من القرن العاشر) بالنحوى ، وكان  
إسكندر نفسه أحد شعراء التراجيديا وعد من السبعة الذين عرفوا بالمجموعة النجمية  
الإسكندرية<sup>(٢٦)</sup> (Alexadrian Pleias) .

أما ليكوجرون الخالكيمي فإنه رتب لقائف الشعراء الكوميديين ، وكتب  
رسالة وافية عن الكوميديا ، وسعود فيما يلي إلى عمله كشاعر .

### كالياخوس البرقاوى

يحتمل أن كالياخوس ولد حول سنة ٣١٠ . وكان هو وأراتوس زميلين في  
الدراسة بأثينا ، وكان أراتوس متقدماً عنه في العمر ، وعمل كالياخوس في وقت ما  
مدرساً للنحو في بلدة إليوسيس بالقرب من الإسكندرية ، ثم اتصل بالملك بطلميوس  
الثاني ، فعينه أميناً للمكتبة ، حول سنة ٢٦٠ ، وشغل ذلك المنصب حتى وفاته  
حول سنة ٢٤٠ ، وفي أيام كالياخوس صارت المكتبة غنية بحيث لا يمكن  
استخدامها دون الاستعانة بفهرس هام ، ولذا صنف لها كالياخوس فهرساً  
عنوانه باللغة العربية : قوائم جميع المؤلفات الهامة في الثقافة اليونانية وأسماء  
مؤلفيها . وكان هذا الفهرس مصنفاً تصنيفاً دقيقاً بحيث اشتمل على ١٢٠  
لقافة بردية ، وقسمت لقائف المكتبة إلى ثمانية أقسام وهي :

- ١ - المؤلفون المسرحيون .
- ٢ - شعراء الملاحم والأناشيد .
- ٣ - المشرعون .
- ٤ - الفلاسفة .
- ٥ - المؤرخون .

٦ - الخطباء .

٧ - أساتذة علم الخطابة .

٨ - مؤلفون متنوعون .

وهذا التصنيف مما يدعو إلى الانتباه ، لأنه يوضح أن المكتبة كانت في جوهرها مركزاً للآداب . وهنا يأتي السؤال : في أى قسم وضعت الكتب العلمية ؟ ربما كانت موضوعة في القسم الرابع ، أى مع الفلاسفة ، أو في القسم الثامن مع المؤلفين المتنوعين . وهو قسم الموضوعات المتنوعة الضروري لإتمام أى خطة أو منهج للتصنيف . كان الترتيب في بعض هذه الأقسام زمنياً ، وفي بعضها الآخر موضوعياً أو بترتيب حروف الهجاء . وكان لكل كتاب عنوانه ، واسم مؤلفه مع مناقشة في أصل تأليفه إذا لزم الأمر ، مع ذكر السطور الأولى من الكتاب ، ومن المحتمل أن بعض هذه الدلالات كانت تكتب مرة أخرى في البطاقة المرافقة باللفافة البردية ؛ لأن تصنيف عدد كبير من اللفائف يتطلب بعض إشارات للاهتمام إليها ، مع عمل بعض البطاقات لكل منها .

ومعنى هذا كله أن هذا الفهرس كان أهم بكثير من قائمة عادية ؛ لأنه تضمن ملاحظات تاريخية وتحليلية ، وعلى ذلك فهو فهرس مزود بالإيضاحات ، ومن المستطاع أن نسميه تاريخ الأدب اليوناني ... كم نتمنى لو أننا لم نفقد هذا الفهرس ، لأن معظم الكتب التي كانت في متناول علماء الإسكندرية فقدت تماماً ، وكثير غيرها من المؤلفات القديمة غير معروف لنا إلا عن طريق الاقتباسات القليلة التي نقلها منها بعض الناقلين . ولكي نقدر هذا الفهرس القديم حتى قدره . يكفى أن نذكر كتاب الفهرست الذي ألفه محمد بن إسحاق بن النديم ( النصف الثاني من القرن العاشر ) ، وهو الكتاب الذي ندين له بجزء كبير مما نعرف عن الآداب العربية المفقودة التي ربما ظلت مجهولة لدينا كما هي الحال في كثير من المؤلفات اليونانية الهامة .

وكان تصنيف هذا الفهرست القديم عملاً ضخماً ، ونستطيع بفضل ضخامة ذلك العمل أن نطلق على كاليماخوس لقب الفهرس الأول ، مع العلم تاريخ العلم - رابع

بأن عمله كان أكثر صعوبة وأكثر أصالة، بالقياس إلى عمل المفهرسون في العصر الحاضر . ويقال إن كليماخوس لم يكن أمين المكتبة أو مديرها، بل كان مفهرساً لها . غير أن هذه المسألة لا تحتمل كثيراً من المناقشة نظراً لقلّة معلوماتنا عن حدود هذه الوظائف وطبائعها . ثم إنه يجب علينا أن نذكر أن أولئك الأمناء الأولين لم يكونوا أمناء للمكتبة فحسب ، بل رجالاً من أرباب الأدب وفقه اللغة، والتحقق والمعاجم والتاريخ والفلسفة والشعر، وربما كان الواحد منهم عالماً في أحد هذه العلوم، أو في بعضها، أو في كلها . أو كانوا كذلك جميعهم . وكان كليماخوس أستاذاً لأمناء المكتبة الثلاثة الذين جاءوا بعده، وهم أبولونيوس الرودسي ، إيراتوستينيس البرقاوي ( النصف الثاني من القرن ٣ ق. م . ) وأريستوفانيس البيزنطي ( النصف الأول من القرن ٢ ق. م . ) .

#### أبولونيوس الرودسي :

كان أبولونيوس مصرياً يوناني الأصل، وكان مولده بمدينة الإسكندرية أو ببلدة نوقراطيس . وخلف أبولونيوس أستاذه كليماخوس في وظيفة أمين للمكتبة ، لكنه لم يمكث في عمله هذا طويلاً ( من ٢٤٠ - ٢٣٥ ) ، بل ذهب إلى رودس - حيث نال شهرة واسعة في تدريس علم الخطابة واستوطن هذه الجزيرة وعرف بالرودسي ، ثم عاد أبولونيوس أخيراً إلى الإسكندرية حيث عاش أواخر أيامه في ظل بطلميوس لإيفانوس ( ٢٠٥ - ١٨١ ) وكان أبولونيوس في أول أمره شاعراً، وصار اسمه بين الخالدين بفضل ملحمة التي عنوانها الأرجونوت . غير أننا لا نعرف ملحمة الأرجونوت ، وتاريخ توليه أمانة المكتبة غير معروف على وجه التأكيد ، وربما كان ذلك في أثناء مقامه الأول في الإسكندرية ( ٢٤٠ - ٢٣٠ ) ، أو في أثناء مقامه الثاني ، أي بعد وفاة إيراتوستينيس، أو بعد اعتزاله منصبه في أمانة المكتبة ( ١٩٥ - ١٩٢ ) ، غير أن ذلك لا يهم كثيراً ، لأننا نذكر أبولونيوس شاعراً، وليس أميناً للمكتبة ولا نعرف شيئاً عما قام به للمكتبة ، فهل كانت المكتبة آنذاك على درجة طيبة

من التنظيم ؟ . أو بعبارة أخرى هل كان الملوك لا يهتمون بتنظيمها ، حتى إنهم اكتفوا بأن يعينوا في أمانة المكتبة شاعراً ، وكل ما في الأمر أنه عالم مشهور من علماء الخطابة على اعتبار أن مثل هذه الوظيفة كانت وظيفة اسمية بلا عمل ويكرن قيامه فيها شرقاً للمكتبة (٢٧) .

### إراتوستينيس البرقاوى :

كان جميع الأولين من أمناء المكتبة من رجال الأدب ، سواء اعتبرنا ديمتريوس من بينهم أم لم نعتبره ، فهل كان معنى تعيين إراتوستينيس في هذه الوظيفة أنه رؤى أخيراً أن تصنيف الكتب العلمية وتحقيقها في حاجة إلى رجل من رجال العلم ؟ . وكيفما كان الأمر فإن إراتوستينيس البرقاوى ( النصف الثانى من القرن الثالث ق . م . ) ، من أعظم رجال العلم في العالم القديم ، فإنه لم يكن رياضياً أو فلكياً أو جغرافياً فحسب ، بل كان أيضاً ضليعاً في التاريخ وفقه اللغة ، بل يمكن القول أيضاً بأنه كان أول عالم في فقه اللغة ، لأنه كان أول من أطلق على نفسه لقب فيلولوجوس ( عالم اللغة أو محبها ) . ولكن هذا لا يكون صحيحاً ، لأن كثيرين من الناس استحقوا هذا اللقب قبله ، وكانوا أكثر استحقاقاً منه ، لا في بلاد اليونان فحسب ، بل في مصر الفرعونية ، وبلاد ما بين النهرين وفي الهند أيضاً .

آتم إراتوستينيس تعليمه في أثينا ، ولكن استدعاه بطلميوس الثالث يوثرجيتيس ( ٢٤٧ - ٢٢٢ ق . م ) إلى الإسكندرية وعينه أميناً للمكتبة حوالى ٢٣٥ ، ويحتمل أنه ظل في منصبه هذا حتى وفاته حوالى ١٩٢ ، وهو في الثمانين من العمر . وكان اثنان من مؤلفات إراتوستينيس نتيجة لقيامه في وظيفة أمين المكتبة ، وأولهما : دراسة حول الدراما الإتيكية ، وثانيهما دراسته المعروفة باسم « كرونوجرافيا » ؛ وهى محاولة لترتيب الحوادث الرومانية القديمة على أساس يوضح أن كاليماخوس وخلفاءه كانت تحيرهم صعاب في الترتيب الزمني ، وكانت تلك الصعاب كثيرة في الزمن القديم ، لأن الترتيبات المحلية كانت مستقلة

بعضها عن بعض ، وتختلف فيما بينها اختلافات كثيرة. ولذلك كان من الطبيعي لأمين المكتبة من طراز إراتوستينس أن يحاول وضع ترتيب يقلل من تلك الصعوبات في الترتيب الزمني ، كما حاول في علم قياس الأرض وفي تاريخ الجغرافيا .

ويمكن القول بإيجاز بأن إراتوستينس لم يكن أميناً للمكتبة فحسب ( كما كان أبولونيوس ) ، بل إنه ساعد على إيجاد أساس لفكرة الترتيب الزمني في النقد الأدبي ، وإنه كان المصنف الأول للكاتب العلمية في المكتبة .

### أريستوفانيس البيزنطي

مات إراتوستينس حوالي ١٩٥ ، وخلفه أريستوفانيس ( حوالي ٢٥٧ - ١٨٠ ) في وظيفة أمين المكتبة ، وكان أريستوفانيس في بادئ الأمر نحويًا ومؤلفًا للمعاجم اللغوية . وربما كان من أعظم فقهاء اللغة في العالم القديم إذ أدخل قواعد جديدة في علم نقد المتون ، وأعد تحقيقات جيدة للملاحم هومر ، وثيوجونية هزيود ، وقصائد الكايوس ، وأنا كريون ، وبندار ، ويوريبيديس وأريستوفانيس الأثيني . وقام أريستوفانيس البيزنطي بدراسة النظائر النحوية أو القياسات ، أي أنه أسهم في تنظيم النحو اليوناني ، كما أنه صنف معجمًا باللغة اليونانية وحاول يومينيس الثاني ( ١٩٧ - ١٥٩ ق.م . ) أن يجتذب إليه أريستوفانيس ويبعده عن بطلميوس لإيفانس ( ٢٠٥ - ١٨٢ ق.م . ) ، بتعيينه بمكتبة في برجامه ، ومن أجل ذلك أمر بطلميوس بسجن أريستوفانيس ( ٢٨ ) .

وأعظم ما أسهم به أريستوفانيس في النحو اختراعه أو تنظيمه لعلامات الترقيم في الكتابة ، ذلك أننا تعودنا قراءة الكتب وهي مرقمة ترقيمًا تامًا . بحيث صار الترقيم لدينا قضية مسلمة ، كما صار النحو والكتابة نفسها . ومن المعروف أن الترقيم ليس مسألة ضرورية ، ولكنه إذا اضطر قارئ أن يقرأ كتابًا بدون ترقيم وبدون حروف كبيرة في أوائل الجمل وأسماء الأعلام ، كما هو الشأن في اللغة

العربية ، فإنه لا يلبث أن يقدر لهذه الوسائل المساعدة على القراءة حق قدرها ، لأنه من الأسهل كثيراً للقارئ أن يقرأ كتاباً مكتوباً بعناية ، بحيث تكون الألفاظ مفصولة بعضها عن بعض ، وأسماء الأعلام مبتدئة بحروف كبيرة ، والجمل مفصولة بواسطة علامات الترقيم ، ومن المحتمل أن يزيل الترقيم كثيراً من مواضع الالتباس والخطأ في الفهم .

وكان أريستوفانيس البيزنطى أول من أدرك ذلك تمام الإدراك، ولكنه كان فى ذلك متقدماً على عصره. ولذا لم يستعمل أحد من النساخ هذه الاصطلاحات النحوية الترقيمية إلا بعد زمن طويل . والواقع أن هذه الاصطلاحات ظلت مهذلة حتى أيام استخدام المطابع ، ولم ينتشر استعمالها إلا فى منتصف القرن السادس عشر . وتوضح مسألة أريستوفانيس هنا مدى التعقيد الذى امتلأت به أعمال الأمين من أمناء مكتبة الإسكندرية حين كانت وظيفة أمين المكتبة بمعناها الحديث جزءاً من وظيفة الأمين فى العصور القديمة ، إذ كان الواجب الأول على الأمين أن يكون فقيهاً لغوياً ، ولم يكن كافياً أن يقوم الأمناء بتصنيف المؤلفات بل كان عليهم أن يهتموا نصوصها وأن يعيدوا كتابتها . أو أن يدخلوا على الأقل التعديلات اللازمة على المادة المؤلفة .

ولم يقتصر أريستوفانيس على استنباط العلامات الترقيمية العادية المشابهة لما نستخدمه نحن من علامات الترقيم . بل إنه استنبط كذلك علامات متنوعة ضرورية فى نقد المتون والنصوص ، ومنها العلامات التى تشير إلى سطر مدخول على المتن أو لفظ مفقود منه أو تغييرات عروضية أو تكرار للمعنى . واستخدم هذه العلامات فيما حققه من ملاحم هور . وكانت المجموعة التى أخرجها أريستوفانيس من قصائد بندار أول مجموعة كاملة من هذه القصائد؛ إذ قسمها إلى ستة عشر قسمًا بحيث كان ثمانية منها فى موضوعات إلهية، وثمانية أخرى فى موضوعات بشرية ، وأضاف أريستوفانيس تعليقات ، وأحياناً مقدمات ، إلى جميع المتون التى حققها<sup>(٢٩)</sup> . ومن المؤلفات المنسوبة إليه تعليق على فهارس كاليباخوس ، وهذا التعليق يؤكد اعتقادنا بأن هذه الفهارس لم تكن قوائم

مكتبية، بل كانت على وجه التقريب تاريخاً للأدب اليوناني . وأعد أريستوفانيس نسخاً منقحة لمؤلفات أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس وأريستوفانيس الأثيني . ثم إنه ألف « قاموساً » أو معجماً أدبياً . وهو يشتمل على مجموعة من القياسات والمخالفات فضلاً عن مجموعة من الأمثال، وهكذا . والخلاصة أن مجموعة مؤلفات أريستوفانيس البيزنطي بلغت من الضخامة درجة تفوق التصديق ، ولا سيما إذا ذكر الباحث أن أريستوفانيس كان في أكثر الأحيان رائداً لأول مرة في كثير من الميادين ، وكانت تنقصه الأدوات العلمية العظيمة التي هي في متناول علماء فقه اللغة في العصر الحديث .

#### أريستارخوس الساموثراقي :

جاء الأمين التالي في الأهمية، وهو آخر الأئمة المذكورين هنا، جاء من جزيرة ساموثريك الصغيرة التي تقع في شمال بحر إيجه بالقرب من ساحل تراقية واشتهرت هذه الجزيرة في العصور القديمة بما كانت تحتفل به من طقوس دينية خاصة بالإلهة التوأم كاييري، كما صار اسمها خالداً بفضل التمثال المشهور في الفن الهلنستي - وهو التمثال المعروف باسم انتصار ساموثريك، الذي يعد أحد مفاخر متحف اللوفر . ومن مجد هذه الجزيرة الصغيرة كذلك أنها مسقط رأس عالم عظيم من علماء فقه اللغة وهو أريستارخوس (٣٠) .

وكان أريستارخوس ( النصف الأول من القرن ٢ ق . م . ) الخليفة المباشر، أو الأمين قبل الأخير بعد أريستوفانيس البيزنطي، كما خلفه في عمله ناقداً أدبياً ونحويّاً ، وكتب أريستارخوس عدداً كبيراً من الشروح، وألف عدة رسائل في النقد بلغ عددها ٨٠٠ لفافة بردية ، وكان أحد الأوائل الذين عرفوا ثمانية من أنواع الكلم ، وهي الاسم ، والصفة ، والفعل ، ، والمفعول ، والضمير ، وأداة التعريف ، والظرف ، وحرف الجر ، والعطف . كما أنه أدخل رموزاً نقطية جديدة في تحقيقاته في قصائد الشعراء اليونانيين .

وابتداء من زينودوتوس إلى أريستارخوس حدث تطوران متوازيان في نقد

النصوص ، وفي بناء علم النحو . ولم يكن ذلك مصادفة عابرة أن دراسة نص من النصوص تكون مستحيلة دون تحليل نحوي ، وهذا التحليل يصبح أكثر لزوماً كلما ازدادت الحساسية في النقد الأدبي .

وثمة مصادفة أخرى أكثر اجتذاباً للدهشة ، مع أنها تعادل المصادفة السابقة في كون كل منهما شيئاً طبيعياً ؛ وذلك لأن علم التشريح وعلم النحو - أى تحليل جسم الإنسان ، وتحليل اللغة - تطور كل منهما في زمن واحد . وينبغي في الحالين أن نسلم بوجود سابق لكمية كبيرة من المعرفة التجريبية ، مع العلم بأن التطور الكبير في كل منهما أكثر وعياً وأكثر تنظيمًا في العصر السكندري . غير أنه من الصعب أو من المستحيل أن نقرر كيف بدأ الجسم البشرى ، أو كيف بدأت اللغة بين البشر . وما يدعو إلى الإيجاب أن جميع ألوان الجمال المترابط المتكامل في اللغة اليونانية من نحو صعب القواعد ، وألفاظ كاملة المعنى ، كان استنباطها إلى حد كبير في غير وعى أو عمد . والواقع أن عباقرة الأدب اليوناني لم يعرفوا شيئاً عن النحو ، ولكن فقهاء اللغة اليونانية في العصر السكندري استنبطوا قواعد النحو اليوناني من مؤلفات أولئك العباقرة ، كما استنبط الأطباء علم التشريح من جسم الإنسان . ومن هذا نستطيع أن نستدل على مجهودات فقهاء اللغة ، لأن استنباط علم النحو لم يكن من عمل عباقرة المؤلفين أو النحويين ، ولكن النحويين هم الذين استطاعوا أن يستنبطوا النحو من مؤلفات أولئك العباقرة ، وهى مؤلفات انطوت واحتوت على ذلك النحو في صياغة نحوية عاملة .

ولم يكن النقد الأول الذى قام به أريستارخوس نقداً فقهياً لغوياً فحسب ، بل كان كذلك بحثاً أثرياً إلى حد ما ، وذلك أن أريستارخوس حاول أن يكتشف ويناقش المادة ، أى مادة الأشياء التى تدل عليها الألفاظ وتشير إليها . . .

غير أنه من سوء الحظ أن عامة الأحوال تدهورت في مصر زمن بطليموس السادس والسابع والثامن ، ونخيم الإهمال على المكتبة . وفي سنة ١٤٥ اضطرت أريستارخوس إلى الرحيل عن الإسكندرية ، وذهب إلى جزيرة قبرص حيث مات

بعد تلك السنة بسنوات قلائل ، ويقال إنه مات وهو فى الثانية والسبعين من العمر بعد أن صام صياماً عامداً حتى الموت لأنه كان مريضاً بعلّة الاستسقاء الذى لا يرجى منه شفاء .

أما مدرسة النحو التى أسسها أريستارخوس فاستمرت بعد وفاته وامتاز تلاميذه أبولودوروس الأثينى ( النصف الثانى من القرن الثانى ) وديونييسيوس التراقى ( النصف الثانى من القرن الثانى ) فى ميدان النحو . غير أنه يبدو أن المكتبة دخلت وقتذاك فى سبات عميق . ومن المحتمل أن ملوك البطالسة الذين واجهوا وقتذاك صعوبات واضطرابات متزايدة لم يلبثوا أن فقدوا اهتمامهم بالمكتبة وقللوا من مساعدتها .

### أواخر تاريخ المكتبة

ربما يريد القارىء أن يعرف هنا ماذا حدث للمكتبة بعد منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . غير أنه مما يدل على تدهور أحوال المكتبة بعد ذلك التاريخ أننا لا نستطيع أن نذكر اسماً لأمين من الأمناء بعد أريستارخوس الساموثراقى . وكان هذا التدهور ناحية واحدة من نواحي التدهور الهلنستى فى مصر .

ومن أيام حصار يوليوس قيصر لمدينة الإسكندرية سنة ٤٨ ق . م . كانت المكتبة لا تزال غنية جداً . ولما كان فى غير مقدور يوليوس قيصر أن يشحن برجاله سفن الأسطول المصرى الرابض فى الميناء ، وهو أسطول يستطيع أن يقوده أمير البحر المصرى أخيلاس . ويستخدمه ضده ، فإن يوليوس قيصر أشعل النار فى ذلك الأسطول وامتدت النار إلى أرصفة الميناء . ويقال إنها أحرقت جزءاً من المكتبة . غير أن ذلك القول ليس من السهل تصديقه ؛ لأن المكتبة الرئيسية كانت على مسافة بعيدة كل البعد من الميناء والأرصفة ، وذلك لأن السيرايون كان مبنياً بعيداً جداً فوق تل مرتفع . غير أنه من المحتمل أن كمية المؤلفات كانت قد حملت إلى الميناء لنقلها إلى روما وأن هذه الكمية من المؤلفات هى التى امتد إليها الحريق .

وفى ذلك كله ما يفسر السبب الذى جعل ماركس أنطونيوس أحد الثالث الحاكم فى روما أن يقدم إلى الملكة كليوباترا عام ٤١ ق . م . على سبيل التعويض ما يقرب من مائتى ألف من المؤلفات التى أخذها سابقاً من مكتبة بروجامة ، غير أن هذه القصة كلها ليست مؤكدة ، ولو أنها تستطيع أن تكون مقبولة . فلو أن جزءاً من المكتبة احترق بفعل يوليوس قيصر لكان من الطبيعى أن تشكو الملكة كليوباترا مما حدث ، ولكان من الطبيعى كذلك أن يقدم لها أنطونيوس تعويضاً كبيراً من ممتلكات أعدائه ، لا عدداً من الكتب التى كانت خاصة به .

وظلت المكتبة على حالها من الأهمية خلال أوائل العهد الرومانى حين كان الرومان فى نظر أنفسهم هم المحررون لمصر . غير أن ذلك لا يجد تأييداً فيما كتبه بوسيسفوس فلافيوس<sup>(٣١)</sup> ( النصف التالى من القرن الأول ق . م . ) لأن هذا المؤرخ كتب عن المكتبة كأنها لم توجد فى زمنه . ذلك أنه حدث فى عصر الإمبراطور الرومانى أورليان أن تلف الجزء الأكبر من البروخيون . ( الحى الأرسقراطى من الإسكندرية القديمة ) فهل كان معنى ذلك أن المكتبة الرئيسية تلفت معه ؟ وكيفما كان الأمر ، فالمعروف أن السيرايبون ظل قائماً .

ومن المحتمل كذلك أن مؤلفات من المكتبتين الرئيسة والفرعية - إحداهما أو كلتاهما - صودرت على أيدي السلطات الرومانية ، ونقلت إلى روما . ومثل هذه العملية وقعت فى عصرنا الحديث على أيدي سلطات فاتحة ، وهى عملية كانت ولا شك أكثر سهولة فى أوائل القرن الميلادى الأول . غير أن أعظم أعداء المكتبة لم يكونوا من الرومان الوثنيين ، بل من المسيحيين ، وازداد تدهور المكتبة بازدياد نفوذ الأساقفة المسيحيين على مدينة الإسكندرية ، سواء أكان أولئك الأساقفة أثناسيين أم أريوسيين<sup>(٣٢)</sup> . وفى أواخر القرن الرابع الميلادى كانت الوثنية فى طريقها نهائياً إلى الزوال من الإسكندرية حيث كان الموسيون والسيرايبون آخر المعادل الوثنية بها ، على فرض أنهما كانا باقين حتى وقتذاك . ومن المعروف أن أوائل المسيحيين وتلاميذهم كرهوا المكتبة أشد الكره ، لأنها

كانت في نظرهم معقل الكفر والخلاعة، ولهذا كانت موضع الهجوم الصامت حتى آل إليها الحراب .

وكانت المكتبة وقتذاك في السيرابيون والمعروف أن السيرابيون تهدم نهائياً في زمن الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الكبير ، وذلك بأمر البطريرك تيوفيلوس ( ٣٨٥ - ٤١٢ ) ، وهو الذي بلغ تعصبه ضد الوثنية أبعد الحدود . وربما تم إنقاذ كثير من المؤلفات وقتذاك ، غير أن المكتبة غدت في خبر كان تقريباً سنة ٤١٦ ، وذلك نقلاً عن المؤرخ أوريوس .

وكثيراً ما تواترت قصة تزعم بأن الفاتحين المسلمين دمروا المكتبة حين فتحوا الإسكندرية سنتي ٦٤٠ ، ٦٤٥ (٣٣) ، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سأل وقتذاك ، هل توجد نصوص هذه المؤلفات في القرآن الكريم أم لا توجد فإذا كانت موجودة في القرآن الكريم فلا حاجة لنا بهذه المؤلفات ، أما إذا لم تكن موجودة فهي مؤلفات ضارة فاسدة غير أن هذه القصة كلها يعوزها التأييد ؛ لأنه لم تكن توجد مؤلفات قليلة أو كثيرة من المكتبة وقتذاك لتدميرها . ثم إن المتعصبين من المسيحيين الأولين ناقشوا هذه المسألة سابقاً ، وفضلاً عن ذلك فإن المؤلفات الوثنية كانت أشد خطراً على المسيحيين لأن كثيراً منهم كانوا أكثر استطاعة لقراءتها من المسلمين .

## تعليقات

(١) كان البرونخيون هو الحى الأستقراطى فى مدينة الإسكندرية القديمة ، وموقعه من جنوبي الميناء الكبير ، إلى رأس لوخيلاس الواقع شرقى الميناء ، واشتمل هذا الحى على القصور الملكية ، ومصالح الحكومة ، ودور السادة من المقدونيين واليونانيين ، فضلا عن الضريح الملكى والموسيون والمكتبة .

(٢) انظر فهرس الجزء الأول من هذا الكتاب لموضوع المكتبات الأثورية فى الأزمنة القديمة ، ومن المعروف أن آخر ملوك آشور حكم حتى عام ٦٠٦ ق . م .

(٣) ينبغى ألا نفهم من كلمة « عامة » هنا مدلولها الحديث ، ولا ينبغى أن يقصد بها ما تؤديه المكتبات الأمريكية الحديثة عن حسن الاستقبال والعناية بالقراء . ثم إن لكل من كلمتى « خاصة » و« عامة » مدلولاً محدوداً ، فليس ثمة مكتبة خاصة تنلق بابها فى وجه أصدقاء صاحبها ، وليس هناك مكتبة عامة تفتح أبوابها لأى فرد من الأفراد لما عسى أن يكون هناك من قيود صارمة فى استخدامها .

(٤) انظر جغرافية سترابون ، ج ١٣ فصل (١) ص ٥٤ ، وهذه الإشارة إلى أرسطوبعيدة عن الإمكان ؛ فإن أرسطومات فى ٣٢٢ / ٣٢١ ق . م . مع العلم بأنه صاحب فضل غير مباشر على أمناه المكتبات .

(٥) بوليبيوس ( النصف الأول من القرن ٢ ق . م .) كتاب التاريخ ، ج ٢٧ ، فصل ٤ . استخدم كثير من المؤلفين اليونانيين كلمة « بيبليوتيكى » عنواناً لمؤلفاتهم ، ومثال ذلك أولاً أبولودوروس الأثينى ( النصف الثانى من القرن ٢ ق . م .) ، ونعتبر البيبليوتيكى الخاصة به أحدث قرنا على الأقل من استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى . وثانياً ديودور الصقلى ( النصف الثانى من القرن الأول ق . م .) ، فوتيوس البيزنطى ( النصف الثانى من القرن التاسع ) . يضاف إلى ذلك أن عبارة ( فى المكتبة الملكية ) استخدمت فى ترجمة كتاب المهد القديم ( سبتواجنت ) ( استر ٢ : ٢٣ ) .

(٦) يرتبط هذا السؤال بالسؤال السابق ، وهو هل كانت المكتبة مستقلة عن الموسيون ؟ والجواب هو : « إذا لم تكن المكتبة مستقلة عن الموسيون منذ البداية فإن استقلالها نما مع ازدهارها . وجاء زمن كانت فيه المكتبة مؤسسة مستقلة فى مبنى منفصل ، وكان لها آنذاك أمين أو رئيس أمناه . ويحدث مثل هذا التقدم ويتكرر فى المؤسسات الحديثة من المنظمات والمراصد وغيرها . وما دامت المكتبة صغيرة فيشرف عليها أحد الكتبة تحت إدارة مدير المؤسسة التابعة لها ، فإذا زاد نمو المكتبة واتسعت ، احتاج الأمر إلى مبنى منفصل وإدارة مستقلة .

(٧) انظر

E.A. Parson, The Alexandrian Library, Glory of the Hellenic world. Its Rise, Antiquities and Destruction. (468 pp., ill.; Amsterdam : Elsevier, 1952).

انظر كذلك مجلة Isis عدد ٤٣ ص ٢٨٦ عام ١٩٥٢ . وتوجد مكتبة الإسكندرية في ص ١٦٠ من هذا الكتاب ومنها نقلت أساؤهم ولم آخذ دائماً بتواريخهم .

( ٨ ) هذا كل ما يعرف عنه . Pauly - Wissowa sub voce Apollonios No - 82 .  
ومعنى كلمة ايديوجرافوس - مصنف المؤلفات الأدبية .

( ٩ ) تبدو الأهمية الخاصة بهذه المكتبة المساعدة واضحة في استخدام مجلة ألمانية كبرى خاصة بشئون المكتبات والمخطوطات والآداب القديمة لفظ سيراييوم عنواناً لها ( صدرت في ٣١ مجلداً ، ليبرز ١٨٤٠ - ١٨٧٠ ) . وسوف نستعمل الصيغة اللاتينية « سيراييوم » لأنها شائعة أكثر .

( ١٠ ) لم أفهم المقصود من النسخ الحكومية ، ولست أدري من كان أمينها ؟ واستخدم هذه العبارة هـ . إدرس بل في كتابه « مصر من عهد الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى » ( ص ٥٤ ( ١٧٦ ) صفحة ) .

( ١١ ) من الغريب أن تكون الإلياذة أكثر ذبوعاً من الأوديسا فإن ما عرف من الأجزاء البردية للإلياذة يفوق عدد الأجزاء التي وجدت من الأوديسا ، مثل تفوق هومر على سائر المؤلفين واليونانيين .

( ١٢ ) تيموثيوس الميليسى ( ح - ٤٥٠ - ٣٦٠ ) ، اكتشفت بردية قصيدة هذا الشاعر وعنوانها ( برسيه ) أى قصة معركة سلاميس - في مقبرة يونانية في مصر ، وهى أقدم بردية أدبية معروفة ويرجع تاريخها إلى نهاية القرن الرابع ق. م . ، أى إنها تكاد تكون معاصرة لزمن المؤلف ( بربلين ) .

( ١٣ ) توجد دراسات تمهيدية في علم البرديات في كتابين صغيرين ممتازين : أولهما من تأليف فردريك كيتيون ( ١٨٦٣ - ١٩٥٢ )

وعنوانه : Books and Readers in ancient Greece and Rome. (Oxford : Clarendon Press, 1932, 1951), pp. 40 - 74.

وثانيهما من تأليف هـ . بل ، وعنوانه : H. Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest, pp. 1 - 27.

وكذلك قائمة المصادر في ذلك الكتاب - ص ١٥٢ - ١٦١ وانظر عن المؤتمرات الدولية في علم البرديات : Horus : A guide to the history of Science (Waltham, Mass. : Chronica Botanica, 1952) p. 298.

( ١٤ ) انظر المجلد الأول من هذا الكتاب ص ٢٤ - ٢٦ والمعروف أن أجود ما ألف عن البردى قديماً وارد في كتاب بلييى الذى عنوانه . Natural History, XIII, 11 - 12.

( ١٥ ) مع العلم بأنه يشتمل على أخطاء كثيرة John W.B. Barnes, The Ashmolcan ostracon of Sinuhe (London Oxford University Press, 1952). Journal of the American Oriental Society 74, 58 - 62 (1954). Frans Jonkheere, prescriptions medicales sur ostraca hiératiques, Chronique d'Egypte 29, 46 - 61 (1954).

(١٦) لم يحل الرق محل البردى تماماً حتى في العصور الوسطى ؛ إذ كان البردى يستعمل في المنشورات البابوية حتى حوالي سنة ١٠٢٢ انظر (British Museum Quarterly 5, 27 (1931). ثم حل الورق أخيراً محل البردى والرق معاً على أيدي المسلمين وتختلف تواريخ استخدام الورق وصناعته من بلد إلى آخر ، وهذا موضوع معقد جداً . راجع : Thomas Francis Carter : The invention of printing in China and its spread Westwards (New York : Columbia University Press, 1925; rev. ed. Ronald Press, 1931). (Isis., 8, 361 - 373 (1926).

انظر أيضاً فهرست كتابي الذي عنوانه مقدمة في تاريخ العلم :

(Introduction to the History of Science.

(١٧) انظر ما كتبه المؤلف عن تاريخ علم (The Discovery of X - Rays with a facsimile reproduction of Röntgen's first account of them published early in 1896. Isis 26, 349 - 369 (1937).

(١٨) هذا الاسم الجغرافي مأخوذ من اسم السمك النيل المقدس ، أو كسيرينخوس ، أي السمك ذي الأنف الحاد - وهو نوع من المورميروس ( واسمه العربي مزدا ) - وتقع هذه البلدة على خط عرض ٢٨° ٣٠' واسمها الحالي البهنسا . ولما كان من المستحيل أن تعيش إلا في الأماكن الجافة . فإن الباحث لا ينتظر العثور عليها في أي مكان في الدنيا .

(١٩) كان هذا هو المتبع أحياناً في ترتيب الكتب الغربية ، ونستطيع أن نعرف متى كان كذلك من نسخ الكتب القديمة التي كتبت عناوينها أفقياً على طول حافة الورق . وغالباً ما تحل الكتب العربية والصينية مثل تلك العناوين .

(٢٠) انظر : Books and Readers in ancient Greece and Rome, p. 86. Papyrus Rolls, VI B.C. to A.D.V. Vellum Codices, V-XV; printed books, XV-XV وتشير التواريخ المتعلقة بلقائف البردى إلى مجموعات أوراق البردى اليونانية ، أما البرديات المصرية فهي أقدم بكثير منها ، وإذا نحن أخذنا البرديات المصرية بعين الاعتبار فإن تاريخ استخدام البردى يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة .

(٢١) هذه أسماء رسوم بيانية مرسومة في لقائف . وكانت الكاكيونو تعلق بطولها على الحائط ، أما الماكيونو فقريبة الشبه من لقافة البردى ، أي إنها كانت تلف على العرض ويفتحها القارئ مثل هذه اللقافة بإحدى يديه ويطويها بيده الأخرى .

(٢٢) أصل معنى هذا اللفظ ، ما يكون من فراغ بين مقعدين للتجويد ، ثم استعمل هذا اللفظ فيما بعد للسفاة بين عمودين ( أو صفحتين ) ، ثم أطلقت بعد ذلك على العمود أو الصفحة ذاتها .

(٢٣) كان المدير الأول للمكتبة على وجه التأكيد هوزينودوتوس الأفيسي تمييزاً له من مؤسسا ديمتريوس الفاليري . وعاش زينودوتوس ح ٣٢٥ - ح ٢٣٤ ق. م . وبدأ عمله أميناً للمكتبة في أول حكم بطلميوس فيلادلفوس ( ٢٨٥ - ٢٤٧ ) ، وأتم تحقيق أعمار هومر قبل ٢٧٤ .

(٢٤) لا أقول الطبعة الأولى، فلم تكن هذه طبعة هي الأولى أو الأخيرة انظر الجزء الأول من هذا الكتاب (مجلد ١ ص ١٣٦) .

(٢٥) قبل أن تقسم ملاحم هومر إلى كتب أو أبواب كان نتيجة تقسيم هذه الملاحم إلى لغائف منفصلة . غير أن هذا القول لا ينطبق على الواقع ؛ لأن اللغائف المتوسطة الحجم كانت تتسع لكتابين من الإلياذة أو ثلاثة كتب من الأوديسا .

(٢٦) لفظ Pleias اليوناني وجمعه Pleiades معناه مجموعة النجوم السبعة المعروفة باسم بنات أطلس السبع وبلبؤرفي ، وكن يسمين أيضاً باسم أبينن اتلاتيدس ، وعرفن عند الرومان باسم فرجيليا وتستطيع العين المجردة أن ترى ستا منهن ، أما السابعة فلاترى لشعورها بالخزى ، لأنها سمحت لنفسها بالزواج من إنسان - على قول الأسطورة ! وأطلق اسم بلياديس أيضاً على الرجال العقلاء السبعة في الأساطير القديمة ( ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٩ ) . وكان أفراد البلياد الإسكندري المذكورة هم : كاليساخوس ، وأبولونيوس الروديسي ، وأراتوس ، وليكوفرون ، ونيكاندروس ، وثيوكريتوس ، بالإضافة إلى إسكندر البليروفي وتوجد آراء أخرى بعدد أسماء هذه المجموعة من الشعراء وأعطى اسم بلياد إلى سبعة من الشعراء الفرنسيين يتوسطهم الشاعر رونسارد ( ١٥٢٤ - ١٥٨٥ ) ، وكان إطلاق هذا الاسم على هذه الفئة من الشعراء من باب الإشارة إلى ميولهم الكلاسيكية .

(٢٧) كانت وظيفة أمين المكتبة معدودة في أوروبا ولا سيما في فرنسا على أنها وظيفة شرفية لا عمل لها ، ويمين فيها الممتازون من رجال الأدب مثل ليكوت دى ليل الشاعر الفرنسي المشهور ( ١٨١٨ - ١٨٩٤ ) .

(٢٨) انظر F. G. Kenyon : Books and Readers in Ancient Greece and Rome (Oxford, Clarendon Press. 1931).

(٢٩) راجع J.E. Sandys, History of Classical Scholarship (ed. 3; Cambridge, 1921) Vol. 1. pp. 126 - 131.

لشرح أطول للمجهودات التي قام بها أريستوفانيس البيزنطي في ميدان فقه اللغة .  
(٣٠) جزيرة ساموثريك صغيرة وتبلغ مساحتها ٦٨ ميلاً مربعاً ، أي إنها ليست أكبر بكثير من جزيرة جيرزي في بحر المانش ( ٢ م ٤٥ ) .

(٣١) انظر : (Antiquitates judaicae XII, 2

حيث يعالج هذا الفصل بصفة خاصة موضوع السبتواجنت .

(٣٢) كانت الأريوسية هي العقيدة الإمبراطورية الرسمية من ٣٣٧ إلى ٣٨١ ، وهذه السنة هي التي انعقد فيها مجلس القسطنطينية الديني .

(٣٣) توجد تفاصيل أكثر بالإضافة إلى المراجع في ، المقدمة للمجلد الأول ص ٤٦٦ .